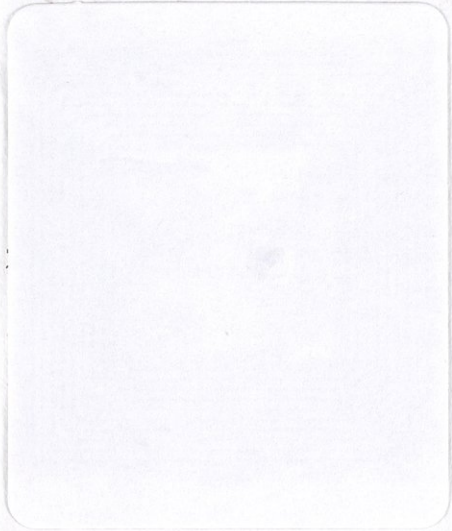
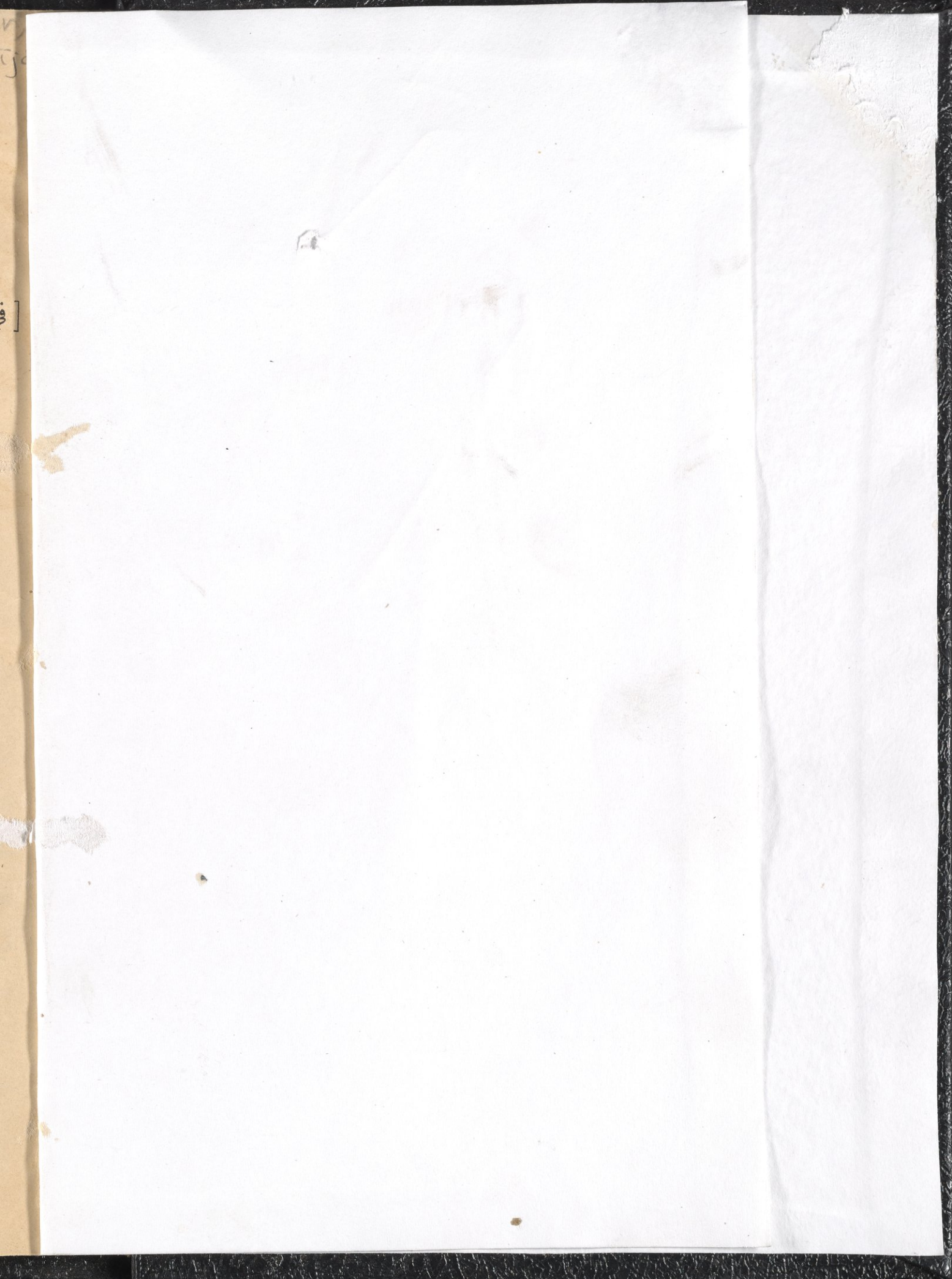


AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY

3 8534 01575 7473

كتاب التبصر بالتجاره
الجاحظ





الرسائل النادرة

Kitāb al-Tabasur bi al-tijār

٧ - التبصر بالتجارة

HF

351

3

1935

(كتاب)

التبصر بالتجارة

[في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة ، والاعلاق النفيسة ،]

[والجواهر الثمينة]

الجاحظ ، أبو عثمان



تأليف

« أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري »

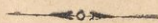
« الملوك عيال على عمر إذا ساس ،

والفقهاء عيال على أبي حنيفة إذا قاس ،

والمحدثون عيال على أحمد بن حنبل إذا أسند ،

والبلاء عيال على الجاحظ إذا انتخب وأعرّب »

ابن سيار



عني بنشره وتصحيحه والتعليق عليه

العلاء السيد حسن حسني عبد الوهاب التونسي

أحد أعضاء المجمع العلمي العربي

طبع للمرة الثانية

سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م

المطبعة الرحمانية بمصر

شماره نشره ٣٥ تيمون ٥١٥٢٢

٤٨٢

ق. لجنات

رقم ١٩٦٨

يطلب من مكتبة الخانجي
 بشارع عبد العزيز - بمصر
 حقوق الطبع محفوظة

41968

٥٦٢١ - ٥٦٢١

كتاب التبصر بالتجارة

للجاحظ
توطئة للناشر

الجاحظ بصرى المولد والوفاة ، بالبصرة وُلد وبها شبَّ ودرج ، وفيها دوّن
غالب تأليفه .

ما بين نصفى القرن الثانى والثالث نبغ الجاحظ حينما كان « العراق عين الدنيا
والبصرة عين العراق ^(١) » ، وكيف لا تكون كذلك وهى عندئذ باب بغداد
الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع وأنواع السلع المجلوبة من أطراف
الدنيا ، نظير مرسيلية اليوم بالنسبة الى فرنسا أو جنوة لاطاليا وليشربول لبلاد
الأنكليز ، بل امتازت البصرة على تلك المراسى بنصيب أوفر وحظ أكبر إذ كانت
مقصد القوافل الواردة من كل حدب وصوب ، ومحط رحال الشرق والغرب ، من
مجاهل الصين الى مفاوز الصحراء الكبرى ، ولذلك استفحل بها العمران وكثرت
فيها المصانع والصنائع وصارت واسطة العرب والعجم وحق لها ان تتقلب
« بقبة الاسلام » كما سماها عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) .
ناهيك ببلد جمع لحسن الموقع أضداد الأشياء وأشتات الأرزاق ومختلف
المكاسب والمطالب .

(١) ثمار القلوب للثعالبي ص ١٢٧ ومعجم البلدان لياقوت ٢ :

فاخر خالد بن صفوان البصرى ببلده لدى عبد الملك بن مروان فقال :
« يغدو ساكنها قانصاً فيجىء هذا بالشبوط والشيم ، ويجىء هذا بالظبي والظليم ،
ونحن أكثر الناس عاجاً وساجاً ، وخزاً وديباجاً (١) . »

وباهى الجاحظ نفسه بمسقط رأسه فقال :

« ومن أتى وادى القصر بالبصرة رأى أرضاً كالكاפור ، ورأى ضباباً تحترش ،
وغزلاً نائوساً وصياداً ، وسمع غناء ملاح في سفينته ، وحداً جمال خلف بعيره (٢) »
وقد قال الخليل بن احمد البصرى قبله (٣) :

زر وادى القصر نعم القصر والوادى فى منزل حاضر ان شئت أو بادي
تر به السفن والظلمان حاضرة والضب والنون والملاح والحادى
اشتهر أهل البصرة من قديم بالتطوح فى الآفاق والترامى على الأسفار البعيدة
والضرب فى مناكب الأرض طاباً للرزق والتماساً للثراء ما جعل الجاحظ يصرح :
« بأنه ليس فى الأرض بلدة واسطة ولا بادية شاسعة ولا طرف من أطراف الدنيا
إلا وأنت واجد به البصرى والمدنى (٤) » وقد اتفقت كلمة السائحين وأصحاب
الرحلات على بُعد همة البصريين فى الترحال وغورهم فى الاعتراب حتى قال
أبو بكر الهمداني - وناهيك به من خير : « وأبعد الناس نجمة فى الكسب
بصرى وحميرى ، ومن دخل فرغانة القسوى والسوس الأقصى فلا بد أن يرى
فيهما بصرياً أو حميرياً (٥) . »

(١) معجم البلدان لياقوت ٣ : ٢٠٤ (٢) ثمار القلوب ص ٤١٩ .

(٣) الكتاب المذكور ص ٤١٩ .

(٤) كتاب البخلاء (طبعة مصر سنة ١٣٢٣) ص ١٦٠ .

(٥) كتاب البلدان للهمداني (طبعة ليدن سنة ١٣٠٢) ص ٥١ .

ومن البديهي ان من كان في ذكاء الجاحظ وفطنته الغريزية وحبه استطلاع
 الأشياء والبحث عن الجليل منها والحقير ، ويشاهد عياناً ما يجلب الى العراق من
 أطراف البلاد وما يصدر منه الى سائر الآفاق لجدير أن يفيدنا بكل حذق وتدقيق
 عن الأحجار الكريمة والأعلاق النفيسة والطرائف الثمينة والرياش الغالية وعن
 ماهيتها وأثمانها في عصره ، على أنه لم يكتب بمجرد ذكر المتاجر ومصادرها بل
 زاد في البيان فنبه على المعمول من الجواهر واليواقيت ، والمغشوش من العطور
 والعقاقير ، وفرق بين العالي منها والمتوسط والردي فأضاف الى الخبرة التفنن والى
 المعرفة التبصر ، وهو عين موضوع كتابه « التبصر بالتجارة » الذي نشره اليوم .
 فلا عجب حينئذ أن اشتملت هذه الرسالة على فوائد حجة تهم أرباب الصناعة
 والتجارة كما تفيد المشتغلين بعلم الاقتصاد والباحثين عن علائق العالم الاسلامي زمن
 غزارة حضارته وعنفوان تمدنه مع بقية الممالك .

وهي لعمري إفادة ذات شأن ، ترشدنا إلى ما وصلت إليه عواصم الاسلام
 الكبرى - لا سيما بغداد - من التبحر في العمران وتوسع سكانها في وسائل
 البذخ والترف . ما جعل تجارها في حاجة إلى توريد نتائج أطراف المعمورة وان
 بعدت وركوب الأخطار والمشاق في سبيل استجلابها وبذل النفس والنفيس في
 اقتنائها إجابة لرغبة الأغنياء وتسديداً لشره النساء إما لتأثيث القصور أو لزينة
 ربات الخدور !

ولقد نعم ! وضع المعتنون بتقويم البلدان من أبناء العربية تأليف عديدة هي عمدتنا
 الآن في معرفة العلائق التجارية قديماً وما اختص به كل صقع من أنواع النتائج ،
 منهم ابن الفقيه الهمداني ، وابن رسته الاصبهاني ، وأبو زيد البلخي ، والاصطخري ،
 وابن حوقل ، وابن البشاري المقدسي وغيرهم من كبار الجغرافيين وأصحاب الرحلات ؛

غير أنا لا ننس أن الجاحظ هو الذي فتح لهم باب التأليف في تقويم البلدان
وخصائصها وشرع لهم هذا المنهج ، فهم في الحقيقة عيال عليه — وإن توسعوا بعد —
ومقتفوا أثره ومقلدوه ، الأمر الذي جعل أحدهم — وهو المقدسي — يقول : « وإذا
نظرت في كتاب الفقيه فكأنما أنت ناظر في كتاب الجاحظ ^(١) »

وهي لعمرى شهادة اعتراف بأسبقية الجاحظ في خوض هذا الميدان ، وليس
هو بأول موضوع يطرقه ذلك المبدع الماهر بل البحر الزاخر الذي لا ساحل له .

حرر الجاحظ هذا البحث الاقتصادي برسم أحد كبار أحابيه ممن سبقت
عنايته بالتأليف والاهداء اليهم ، فهو — وإن لم يسمه — أحد الأربعة : محمد بن
عبد الملك الزيات وزير المعتصم ، وقاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد ، والوزير الفتح
ابن خاقان ، وإبراهيم بن العباس الصولي ؛ وأراني في غنى عن إثبات نسبة هذه
الرسالة إلى الجاحظ ، وإن لم يأت ذكرها بين مصنفاته الواردة في فهرست ابن
النديم ومعجم الأدباء لياقوت ، لكن أبو منصور الثعالبي ^(٢) والعلامة النويري ^(٣)
تكفلا بتعريفنا بها ونقلها جملاً منها بالحرف الواحد ونسبتها إلى مؤلفنا الكبير
حسبما نشير إليه في محله .

علي أن « التبصر بالتجارة » ليس بأول كتاب للجاحظ لم يذكر من بين
مؤلفاته فإن « خصائص البلدان له » — وهو غير « كتاب البلدان » — لم يرد
اسمه بعد في قائمة ما نسب إليه ياقوت في معجمه وقد نقل عنه أبو منصور الثعالبي
كثيراً ^(٤) .

(١) راجع كتاب « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » للمقدسي - طبعة
ليدن سنة ١٨٧٧ ص ٢٤١ . (٢) « ثمار القلوب » (٣) « نهاية الأرب » .
(٤) « ثمار القلوب » ص ٤١١ و ص ٤٣٨ .

أجل ! كثيراً ما يستعمل الجاحظ ألفاظاً دخيلة في غضون مصنفاته وقد وقع جانب عظيم منها في رسالته هذه في التعريف بمسميات أجنبية ، وهو أمر متعارف جرت به عادة الكتّاب والمؤلفين في عصر الدولة العباسية ، فلطالما استعملوا اصطلاحات ومعرّبات جلها فارسي المأخذ لقرب بلاد إيران من العراق ، ولقد تتبع صديقنا ساكن الجنان العلامة أحمد تيمور باشا أثر بعض المعرّبات الواردة في كتاب « نشوار المحاضرة » للتنوخي فعقد لشرحها فصولاً ممتعة نشرها في مجلة المجمع العلمي الدمشقية (١) .

وقد حاولنا شرح ما ورد ضمن هذه الرسالة من غريب الدخيل على قدر الاستطاعة والجهد ، وياحبذا لو توفّق من أبناء العربية من يضع لنا معجماً لغوياً يوضح لنا به السبيل إلى فهم ألفاظ الدخيل والمصطلحات التي كانت مستعملة في القرون الوسطى الإسلامية مثما فعل المستعرب الهولاندي دوزي في « مستدركه على المعاجم العربية » ، وهي أمنية طالما أبدأها كل من يعاني استقراء تصانيف الدور العباسي .

أما الاصل المنقول عنه فهو مثبت في ضمن مجموع خطي محفوظ بالمكتبة العمومية (مكتبة سوق العطارين) في حاضرة تونس ، وهذا المجموع يحتوي على أذكار وأدعية وذكر بعض الغزوات ، ثم رسالة حافلة في الخط وتصاريفه من تأليف الوزير العباسي الشهير أبي عبد الله على بن مقلة ، ثم كتاب « التبصر » هذا ، ثم شرح قصيدة أبي الفضل ابن النحوي التوزري المعروفة بالمنفرجة من وضع الامام علاء الدين علي بن جمال الدين البصري الشافعي نزيل دمشق ختمه

(١) تفسير الالفاظ العباسية، مجلة المجمع العلمي العربي، جزء تشرين أول سنة

[١٩٢٢ ص ٢٨٩ وما بعده .

خلال سنة ١٨٧٣ هـ ، وفيما يظهر أن كامل المجموع بخط يد هذا الشارح وهو خط شامى معتاد تغلب عليه الصحة إلا في الأعلام والدخيل والمعربات : وبالرغم من بحثي الشديد للوقوف على نسخة ثانية من كتاب (التبصر) فاني لم أظفر بها فاقصرت على ايراد ما هو موجود هنا .

وقد بذلت جهدي في اكساء هذا الأثر الجليل الثوب الذي يليق به إحياءً لذكري واضعه الخالد ، وهو سبحانه ولي التوفيق .

المهدية الفاطمية (تونس) :
ح . ح . عبد الوهاب الصمادحي

شعبان ١٣٥٠

وفي الصفحة التالية يرى القارى ذلك الأثر الجليل :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتب أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصرى :
سألت أكرمك الله عن أوصاف ما يستظرف في البلدان من الامتعة الرفيعة ،
والأعلاق النفيسة ، والجواهر الثمينة المرتفعة القيمة ، ليكون ذلك مادة لمن حنكته
التجارب ، وعوناً لمن ما رسته وجوه المكاسب والمطالب ، وسميته بكتاب «التبصر»
والله ولى التوفيق .

زعم بعض المحصلين من الاوائل أن الموجود من كل شىء رخيص بوجدانه ،
غال بفقده إذا مست الحاجة اليه .

وقالت الروم : إذا لم يرزق أحدكم في أرض فليتحول الى غيرها .
وقالت الهند : ما من شىء أكثر الارخص ما خلا العقل فانه كلما أكثر غلا ،^(١)
وقالت العجم : إذا لم تربحوا في تجارة فاعتزلوا عنها الى غيرها ، وإذا لم يرزق
أحدكم بارض فليستبدل بها ^(٢) .

(١) نسب أبو منصور الثعالبي هذه الكلمة إلى نصر بن سيار والى خراسان ،
لكنه أورد لفظ « الادب » « بدل » « العقل » (كتاب الاعجاز والايجاز - طبعة
مصر سنة ١٨٩٧ ص ٧٦) .

(٢) نقل أبو منصور الثعالبي جملاً من الفصول التي أوردتها الجاحظ هنا ولم
يعزها لاحد ولا شك انه اقتبسها من هذا التأليف ، قال الثعالبي في فصل « التجار
والسوق » من كتابه « التمثيل والمحاضرة » : إذا لم تربحك تجارة فاعدل عنها إلى
غيرها ، وإذا لم ترزق بارض فاستبدل بها - وقال : الراجح في كل سوق ، البائع لما
ينفق فيها - وقال : شاركوا الذى أقبلت عليه الدنيا فانه اجلب للرزق - وقال : من
اشتري ما لا يحتاج اليه باع ما لا بد منه ، ومن هنا يظهر أن ما نقله الثعالبي هو عين
ما أورده الجاحظ بتغيير قليل في اللفظ .

وقالت الفرس : الربح في كل سوق هو البائع لما ينفق فيها .
وقالت العرب : اذا رأيتم الرجل قد أقبلت عليه الدنيا فالصقوا به فإنه أجلب للرزق .
وقيل لبعض المياسير : بمَ أكثر مالك ؟ قال : ما بعث بنسيئة قط ، ولا رددت ربحاً وان قل ، وما وصل الى درهم الا صرفته في غيرها (١) .

وكان يقال لا تشتروا ما ليس لكم اليه حاجة فيوشك ان تبيعوا ما لا تستغنون عنه .
وزعم بعض الحكماء انه وجد في وصية الفرس : أيها الانسان ليس بينك وبين بلد انت به نسب ، فخير البلدان ما وافقك (٢) ، وخير الدهر ما أصلحك ،
وخير الناس من نفعك ، وخير الماء ما أرواك ، وخير الدواب ما حملك ، وخير الثياب ما سترك ، وخير التجارة ما اربحك ، وخير العلم ما هداك ، وأحسن الحسن ما استحسنته وان كان قبيحاً ؛ وكان يقال : خير الصناعة الخبز (٣) وخير التجارة البز .

باب معرفة الذهب والفضة وامتحانهما

قال الحكيم (٤) : يستحب من الذهب سبيكه وغير سبيكه ، وان يكون

- (١) كذا بالأصل وكان المؤلف أعاد الضمير إلى التجارة ولذا جعله مؤنثاً
- (٢) نقل الشريشي (شرح مقامات الحريري ١ : ١٠٢) وكذا الصفدي (الغيث المنسجم شرح لامية العجم ٢ : ٧٦) هذه الجملة ولم يذكرا قائلها ، وكان الجاحظ يشير إلى كلام عثمان بن عفان - رضى الله عنه - حين سئل عن كثرة أرباحه فقال : لم أرد من ربح قط ولو قل (راجع كتاب البخل للجاحظ ص ١٦٢) .
- (٣) بالأصل : الخرز - وأظنه تحريفاً من الناسخ والصواب : الخز - لتحصل القافية والمعنى . (٤) كثيراً ما يبتدىء الجاحظ الكلام بقوله : قال الحكيم - أو : قال - وفي ظني أنه لا يقصد بذلك إلا نفسه كما هو هنا ، يتضح ذلك لمن تتبع تأليفه لاسيما كتاب الحيوان .

كنار خامدة وشعاع مركوم وكبريت قانيء (١) وانما دامت دولته لانه لا تدحضه
خبث الكبر ولا يفسده مرّ الدهور ؛ وقيل انما صار الذهب ثميناً لقلة تغيره وازدياد
نضارته وحسنه اذا عتق ولأن الاشياء تنقص عند المس والدفن ما خلا الذهب
فانه لا ينقص البتة .

وخير الدينير العتق الحمر الى الخضرة ، وزعم بعض الاوائل انما يمتحن الدينار
بلصوقه الشعر واللحية وصعوبة استمراره فيهما ، والنهريج (٢) من الدينير يعتبر
بجفته وثقله .

وزعموا ان خير الذهب العقيان وخير الفضة اللجين ، ومذاق الفضة الصافية
عذب ، ومذاق الزيوف مرّ صديء ، والنهريج من الدراهم ما لح جرسى الطنين ،
والفضة صافية الطنين لا يشوبها صممٌ وهي تقطع العطش اذا مسكت في الفم .

باب ما يعتبر من الجواهر النفيسة ومعرفتها وقيمتها

زعموا ان معرفة جوهر اللؤلؤ انك تجد مذاقته على ضربين : عذب المذاقة
عثمانيّ ، وملح المذاقة قلزميّ كلالهما يرسب في الماء ؛ والمعمول منه تجده مرّ المذاق
مع دسومة فيه وهو خفيف الوزن يطفو على الماء .

وزعموا ان اللؤلؤة اذا كان في باطنها دودة فانك تجدها حارّة المص واللمس

(١) هذا الوصف يشبه كثيراً ما ذكره المؤلف في كتابه الحيوان (ج ٥ ص ٣٣)
حيث قال : واذا وصفوا حمرة الذهب قالوا ما هو إلا نار . . . وشعاع مركوم . . .
وهو الكبريت الأحمر - ومن هنا يستدل على أن الجاحظ كثيراً ما يعيد الكلام بعينه
في تضاعيف تصانيفه من غير أن يشعر بذلك ، وانه كان قليل المراجعة لما يكتب
(٢) النهريج - معرب نهره الفارسية - هو الدينار أو الدرهم الممونه الزيف
الردى (راجع كتاب شفاء الغليل للنخفاجي وغيره) - وفي كتاب البخلاء للجاحظ
(ص ٦٩) : دينار بهرج - وهو صحيح أيضاً .

فان ذلك للعلّة النفسانية ، واذا لم يكن بها دودة كانت باردة المص واللمس
وامتحانها بذلك .

وزعم البحر يونان اللؤلؤ الكبار المتغير اللون تلف عليه الألية الطرية المشرحة
وتؤخذ في جوف عجين ويدخل التنور ويبالغ في إحماه فانه يصفو ويحسن ويعود
اليه الماء ، واذا بخر بكافور كان ذلك ، واذا عولج بمخ العظم وبماء البطيخ
فانه يصفو .

ومعرفة اللؤلؤ اللحمي الجوهري من الصدفى العظمى هو ان الجوهري يكون
مستوى الصورة لينا أملس ، والعظمى يكون خشناً غير مستوى الهيكل .

وخير اللؤلؤ الصافي العمانى المستوى الجسد الشديد التدرج والاستواء ، واذا
كانت حبتان متساويتين في الشكل والصورة واللون والوزن كان أرفع لثمنهما ؛
والعمانى أنفس وأرفع من القلزمى لأن العمانى عذب نقي صاف ، والقلزمى فيه
ملوحة مع عيب كثير (١) .

واذا بلغت الحبة نصف مثقال سميت درّة ، والمدحرجة المعتدلة في التدور
اذا بلغ وزنها نصف مثقال ربما بلغت في الثمن الف مثقال ذهباً ، والبيضية دون
ذلك في الثمن ، واثمانها ترتفع على زيادة وزنها وتد حرجها ، واذا بلغ وزنها مثقالين
ان شئت جعلت ثمنها عشرة آلاف دينار وان شئت مائة الف دينار ، والمدحرجة
على هذا الوزن والصفة لا قيمة لها ، وهى فريدة ، وكلما كانت أصفى وأتقى كان

(١) على ذكر اللؤلؤ القلزمى قال أبو العباس احمد السيفاشى التونسى المتوفى
سنة ٦٥١ فى كتابه « أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار » (خط بمكتبتى) : . . .
وكذلك ما يوجد من الجواهر ببحر القلزم وسائر بحار الحجاز فردى ولو كانت الدرّة
منه فى نهاية الكبر فانها لا يكون لها طائل فى الثمن إذ ليس فيها شيء من أوصاف
الدر النفيس .

أرفع لثمنها وأنفس ، والدرّة اليتمية قلزمية ، زعموا ان وزنها ثلاثة مثاقيل ، والصغار من اللؤلؤ مرجانه (١) :

وخير الياقوت البهرمانى (٢) ثم الاحمر المورّد ، ثم الاصفر ، ثم الاسمانجونى (٣) وأدونه الابيض ؛ والياقوت من جبل سرنديب بالهند ، وتعرف اليواقيت من المعمولات بخصال ثلاث : برزانتها فى الوزن ، وبرودتها فى الفم عند المص ، وعمل المبرد فيها ، لأن الياقوت حجر ثقيل الوزن بارد فى الفم بطيء عمل المبرد فيه ؛ والمعمول منها يكون خفيف الوزن ، حار المص ، سريع المبرد فيه .
وخير الياقوت الصافى النقى المضىء من أى لون كان ، وارتفاع القيمة على قدر كبرها وصغرها (٤) والياقوت الأحمر البهرمانى الصافى اذا بلغ وزنه نصف مثقال ربما بلغ فى الثمن خمسة آلاف دينار ؛

وكان وزن فص الخاتم الذى يسمى « الجبل » متقالمين قوم بمائة الف دينار

(١) قال التيفاشى فى كتابه المذكور : والمرجان فى لغة العرب صغار الدر وهو اللؤلؤ الدق ، واستشهد بأبيات لامرء القيس - وقيل أنه أول شعر قاله - منها :
فاعزل مرجانها جانباً وآخذ من درها المستجادا
ولفظ المرجان معرب عن اليونانية وأصله (Marginto) وفى اللاتينية (Margarita) وأطاق اسم المرجان فيما بعد على العروق الحمر التى تطلع من البحر ويتخذ منها الحلى والأعلاق والسبح (٢) البهرمان : فارسى معرب معناه أحمر اللون ، قال التيفاشى : والياقوت البهرمانى هو أحمر نقى الحمرة لا تشوبها شائبة ، والبهرمان اسم العصفور وبه سمي هذا الصنف من الياقوت (٣) الاسمانجونى : فارسى معرب مركب من كلمتين (آسمان) أى السماء و(كون) لون ، ومعناه أبيض بزرقه كلون السماء (٤) كذا بالأصل ولعل ضمير المؤنث فى قوله : كبرها وصغيرها - عائد على ياقوتة .

واشتراه أبو جعفر المنصور بار بعين الف دينار^(١) . والياقوت الاسمانجوني ربما بلغ الفص منه مائتي دينار .

وخير الزبرجد الشديد الخضرة ، الصافي الجوهر ؛ ومعرفة الزبرجد الفائق من المعمول المتخذ كمعرفة اليواقيت : برزاقته وبرودة مذاقته وعمل المبرد فيه على مهل ؛ والمعمول منه رخو خفيف الوزن ، حار في المذاق ، يسرع فيه ؛

وزعموا ان خير الزبرجد الناضر الصافي النقي ، فاذا بلغ وزن قطعة منه نصف مثقال بلغ في الثمن النقي مئتان ذهماً ، وارتفاع القيمة على مقدار كبره وصغره ؛ وكان فص الخاتم الذي يسمى (البحر) وزنه ثلاثة مثاقيل اشتراه أبو جعفر المنصور بثلاثين الف دينار وهو اليوم في خزانة بعض الخلفاء .

وخير الفيروزج الشير بام^(٢) الأخضر الاسمانجوني الصافي العتيق ، والفيروزج

(١) نقل أبو منصور الثعالبي من هذا التأليف فصولاً و فقرات عديدة ببعض التصرف نسب بعضها إلى الجاحظ وغفل عن كثير منها ، فمن ذلك قوله : زعم الجوهريون (؟) ان الياقوت لا يكون إلا من جبل سرنديب بالهند ، وخيره الأحمر البهرماني ، ثم الوردى ، ثم الرماني ، وإذا بلغ البهرماني نصف مثقال كانت قيمته خمسة آلاف دينار ، وكان وزن الفص الذي يسمى (الجبل) مثقالين قوم بمائة الف دينار فاشتراه المنصور بأربعين الفاً . (كتاب ثمار القلوب ص ٤٢٤) — ونقل الصلاح الصفدي من تأليف لشيخه شمس الدين بن ساعد الانصارى وسماه « بنخب الذخائر في أحوال الجواهر » جملة مهمة جداً تتعلق بالياقوت وتكوينه وأصنافه وأثمانه جاء في ضمنها : وكان في خزانة الامير يمين الدولة محمود ياقوتة شكلها شكل حبة العنب وزنها اثنا عشر مثقالاً قومت بعشرين الف دينار ، وكان للعتصم العباسي فص يسمى « ورقة الآس » لانه كان على شكلها وزنها مثقالان إلا شعيرتين اشتراه بستين الف درهم (كتاب الغيث المنسجم ١ : ٨٣)

(٢) شير بام : فارسي معرب مركب من لفظين ومعناه (لون اللبن) .

حجر لا يعمل المبرد فيه ولا يتغير في النار والماء الحار ، وغاية ثمن فص فيروزج اذا بلغ وزنه نصف مثقال عشرون ديناراً .

وخير العقيق اليماني الشديد الحمرة الذي يرى في وجهه شبه الخطوط ، وكلما كان أصفى وأضواً كان أجود في الثمن .

وخير البيجاذى ^(١) الأحمر الشديد الحمرة الملتهب لونه التهاب النار ، وكلما كان أصلب وأكبر كان أنفس وأثمن ، والمعمول منه رخو ، وامتحان جودته من رداءته انك اذا قربته من الريش احتمله ، وكلما كان أحمل للريش كان أجود ، وغاية ثمن فص بيجاذى فائق اذا بلغ وزنه نصف مثقال ثلاثون دينار . والجوهر النفيس لا قيمة له وذلك لاتساع ضوئه وانتشار شعاعه بالليل .

والبلور يُختار لصفائه وعظمه ، وخير الزجاج البلورى الصافى الأبيض النقي ،

(١) البيجاذى : حجر كريم احمر اللون يشبه الياقوت فيه خاصية الكهرباء في جذب التبن ، وأصله في الفارسية (بيجاده) وهو اسم الكهرباء ، وقد عرب قديماً ووود في أشعار العرب ، قال الفرزدق (الاغانى ط بولاق ج ١٩ ص ٢١) :

أغرك منها لوثة عريية علت لونها إن البيجاذى أحمر

راجع معجم المجموعة الجغرافية العربية تأليف المستشرق دى خوى طبعة ليدن ص ١٨٤ Indices, Glossarium - Bibl. Géogr. Arab. , de de Goeje) وانظر ايضاً التعليق الجميل الذى وضعه صديقنا العلامة المحقق المغفور له احمد تيمور باشا على هذه الكلمة فى تفسيره للالفاظ العباسية (مجلة المجمع العلمى الدمشقية ج ٧ ص ٢٠٤ من سنة ١٣٣٩)

وقال ابن عبد ربه : ومدينة بلخ بخراسان بها معادن البيجاذى العتيق ، وهو جنس من الفصوص تسمية العامة للزادى (العقد الفريد ٣ : ٢٥٧) .

والفرعوني الفائق^(١) . وخير الماس^(٢) البلورى الصافى الأبيض النقى ، ثم الأحمر ،
وإذا بلغ وزنه نصف مثقال بلغ فى الثمن مائة دينار ، وكلما كان أكبر وأعظم
كان أبلغ فى الثمن وأرفع .

باب معرفة الطيب والعطر والروائح الطيبة

زعموا ان خير العود الهندى المندى^(٣) الذى لا غش فيه ، وكلما كان أصلب
فهو أجود وامتحان جودته بحدة أرجه وشدة رائحته ؛ وزعموا ان خير العود الهندى
الثقيل الوزن الذى يرسب فى الماء ، وأدونه الخفيف الوزن الذى يطفو على رأس
الماء ، والخفيف الوزن عندهم ميت لا روح فيه وهو ضعيف الرائحة ، والثقيل الوزن
منه له ذكاء وقوة أرج ورائحة .

(١) ورد ذكر الزجاج الفرعوني فى كتاب (الحيوان) للجاحظ ج ٣ ص ١١٦
(٢) الماس : يونانى معرب وهو الديامنت وقد ورد ذكره فى الحديث الشريف
(النهاية لابن الاثير ج ٤ ص ٧٩) — وقال التيفاشى : الماس نوعان : الزيتى
والبلورى ، والزيتى أجودهما ، والبلورى أبيض شديد كلون البلور ، والزيتى مخالط
ببياضه صفرة كلون الزيت ، وهو شبيه ببلون الزجاج الفرعوني (كتاب أزهار
الأفكار — خط) .

(٣) المندى : منسوب إلى « مندل » وهو بلد بالهند يجلب منه العود الذكى الشذا
(راجع معجم البلدان لياقوت - لفظ مندل - وشفاء الغليل) - وقال أبو منصور
الثعالبي وفى كتاب « العطر » (للجاحظ) : وخير العود الهندى المندى ، وكلما كان
أصلب فهو أجود وامتحان جودته اذا كانت فيه رطوبة ، ومن خصائصه ثبات
رائحته فى الثوب اسبوعاً وأكثر (ثمار القلوب ص ٤٢٣) .

وخير المسك التبتى^(١) اليابس الفاتح وأرداه البدنى ، وغش المسك من
الآنك^(٢) وجند بادستر^(٣) ودم الأخوين^(٤) وسياه داروا^(٥) وكلما خف وزنه
وفاح فهو أجود .

(١) بالاصل : التبي وهو تحريف وصوابه : التبتى نسبة الى بلاد التبت ، وفي
كتاب « الحيوان » للجاحظ (ج ٤ : ٤٦) ان المسك كان يجلب من التبت - وفي
« المحاسن والاضداد » (باب محاسن الهدايا ص ١٧٩) : وكان مما تهديه ملوك
الامم الى ملوك فارس طرائف ما فى بلادهم « فمن الهند الفيلة والسيوف والجلود ،
ومن التبت المسك والحريير والاوانى ، ومن السند الطواويس والبيغاء ، ومن الروم
الديباج والبسط . » - ويؤيده ما نقل الاصطخرى وابن حوقل حيث قالوا : ولهم
(أى أهل ما وراء النهر) من المسك الذى يجلب اليهم من التبت وخرخيز ما ينقل
إلى سائر الامصار فيفوق غيره من المسوك ثمناً وجودة (المسالك والممالك
للأصطخرى طبعة ليدن سنة ١٨٧٠ ص ٢٨٠ و ٢٨٨ - والمسالك والممالك لابن
حوقل طبعة ليدن سنة ١٨٧٢ ص ٣٢٧ و ٣٣٧) .

(٢) آنك : فارسى معرب وهو الرصاص ، وعند ابن البيطار : الرصاص ضربان
أحدهما الرصاص الاسود وهو الآنك ، والآخر الرصاص القلعي وهو القصدير
(جامع مفردات الادوية طبعة مصر ٢ : ١٤٠) .

(٣) جند بادستر : فارسى معرب وهو مثانة حيوان برى بحرى يكون فى الأنهار
العظام يسمى القندر (وعند الأفرنج Castor) وخصاه هى الجند بادستر (الدميرى
٢ : ٢١٧ وابن البيطار ١ : ١٧١) .

(٤) دم الأخوين : قال ابن البيطار بالنقل عن أبى حنيفة الدينورى : هو صمغ
أحمر لشجرة يؤتى به من سقطرى ، ثم قال : وهو الأيدع عند الأطباء ، ويقال له
الشيان أيضا (جامع المفردات ١ : ٧٢ و ٢ : ٩٦) قلت : والمعروف أن دم
الأخوين هو العندم عند قدماء العرب ، وقيل هو البقم .

(٥) سياه دارو : ويكتب أيضاً : سيادرو - وسيادروان ، وفى القانون لابن
سينا سيادوان . فارسى معرب ، وهو صمغ الجوز الشامى (راجع كشف الرموز
لابن حمدوش ط حجر بالجزائر ١٣٢١ ص ٩٩) .

وزعموا ان خير العنبر الأشهب الزاجي^(١) ثم الأزرق ، ثم الأصفر ، وأدونه
الا] هنا ورقة كاملة من الأصل بها ثلاثون سطراً تعطلت قراءتها لانخرام
كتابتها واستيلاء الزاج على أحرفها بحيث لم يتيسر نقلها بأى وجه ولم يبق ظاهراً

(١) الزاجي : سمي القلقشندى من أنواع العنبر ستة ضرب أولها الشحري ثم
الزنجي (قلت : وهو لا محالة تحريف الزاجي أو الرابحي) وهو أجد العنبر وأفضله . .
(صبح ٢ : ١١٧ و ١١٨) — وجاء في تاج العروس : (والرابحي جنس من
الكافور) منسوب إلى بلد كما قاله الجوهري وصوبه بعضهم أو إلى ملك اسمه رباح
اعتنى بذلك النوع من الكافور وأظهره (تاج ٢ : ١٤٠) — وفيه . ورباح
موضع بالهند ينسب إليه الكافور ، وبسط بحثاً طويلاً في الغلط الحاصل في الصحاح
للجوهري إذ نسب تارة الرابحي إلى بلد بالهند وتارة إلى دويبة يجلب منها الزبد
— وذكر ابن اليطار — في مادة كافور وعنبر — أن الرابحي مشتق من اسم
ملك هندي اسمه رابح (جامع المفردات ٢ : ٣٣٤) وقال داود الأنطاكي
ويسمى الرياحي لتصاعده مع الريح ، وقيل الرابحي — بالموحدة — نسبة إلى
رباح أحد ملوك الهند أول من عرفه (تذكرة — مادة كافور) — وقال دوزي
في مستدركه على المعاجم العربية : أن بعض المصنفين يسميه أيضاً الزياحي
Dozy, Suppl. aux diction. arabes, vol. I p. 499 وما تقدم يتضح
أن الاختلاف في اسم الزاجي أو الرابحي قديم ولا يعرف على وجه التحقيق
نسبته ، ولذا احترمنا هنا الصيغة الواردة بالأصل مع التنبيه عليه — ووقفنا أخيراً
على فصل تمتع نشره العلامة المحقق الأب انستاس ماري الكرملي كشف فيه الغطاء
عن معنى الرباح ووجه اشتقاقه وأثبت أن أصل اللفظ — الزابح — وهو اسم جزائر
ماليسية (جاوه وسومطره وبرنيو) عند قدماء العرب — والنسبة إليه زاجي ، فخره
النساخ والمؤلفون المتأخرون فقالوا الزاجي والرابحي وغير ذلك (راجع مجلة
المجمع العلمي الدمشقية ص ٢٣٢ من سنة ١٣٣٩)

منها سوى ما هو مرسوم بالحجرة — في السطر السابع عشر — وهو : باب معرفة الثياب وما يستجد منها [

..... وخير الوشى [في الثوب] السابري^(١) والكوفي ، والأبريسمي ، والمذهب المنسوج ثم الوشى الأسكندراني الككتان البحت^(٢) ثم المنسوج بالذهب ، ثم الوشى الغزلي ، ثم الذي لا ابريسم فيه ولا ذهب وهو اليماني لانه يرتفع على هذه السبيل من الغزلي ، والابريسمي والككتان لا يبلغ في الثمن ما يبلغه اليماني لأنه ربما بلغ الثوب الغزلي الف دينار .

(١) السابري : نسبة إلى سابور ، وفي حديث حبيب بن أبي ثابت قال : رأيت على ابن عباس ثوبا سابريا استشف ما وراعه ، وكل رقيق عندهم سابري والأصل فيه الدروع السابرية منسوبة إلى سابور (النهاية لابن الأثير ٢ : ١٥٢) - وفي التاج : والسابري ثوب رقيق جدا ، قال ذو الرمة :

جاءت بنسج العنكبوت كأنه على عصويها سابري مشبرق

ومنه المثل : عرض سابري ، أي رقيق جداً (تاج ٣ : ٢٥٢) - وقال أبو منصور الثعالبي . والسابري ، وهو الرقيق الناعم من كل ثوب ، والأصل فيه النسبة إلى نيسابور وعرب فقييل سابري (ثمار القلوب ص ٤٢٩) .

(٢) نقل أبو منصور الثعالبي العبارة الآتية في لفظ « ككتان مصر » ولم يذكر عن أي تأليف للجاحظ نقل ، قال : قال الجاحظ : قد علم الناس أن القطن لخراسان وإن الككتان لمصر ، ثم للناس في ذلك في تفاريق البلدان ما لا يبلغ مقدار بعض بلاد هذين الموضوعين ، وربما بلغت قيمة الحمل من دق مصر الذي من الككتان لا غير مائة الف درهم (ثمار القلوب ص ٤٢٠) - وراجع أيضاً كتاب « ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه » للبحي - خط بمكتبتي .

وخير السنجاب^(١) القائم^(٢) ثم الظهور منه ، ثم الخزري^(٣) ثم الخوارزمي ،
ثم الذي لا غش فيه من زغب الأرانب .
وخير الثعالب الأسود^(٤) الخزري الغليظ الشعر الذي لا يُغشُّ بصبغ ، ثم
الأبيض ، ثم الأحمر المحصري^(٥) ثم الأحمر الخزري ، ثم الخلتنجي^(٦) .
وخير القائم أكثرها أذناباً : وخير السمور الصيني ، ثم الخزري الشديد
البياض مع شدة السواد الطويل الشعر .

(١) السنجاب : قال القلقشندي : حيوان أكبر من الفار يعيش في الشجر العالي ،
فيها يأوى ومنها يأكل ، وهو كثير ببلاد الافرنج والصقالبة ، ووبره في غاية النعومة
وجلده في نهاية القوة ، ويتخذ منه الفراء النفيسة التي يلبسها الناس والرؤساء ، وأحسن
ألوانه الأزرق (صبح الاعشى ٢ : ٥٠) أقول وهو المسمى باللاتينية Scuriolus
وبالفرنسية Ecureuil .

(٢) القائم (بقافين الثانية منهما مضمومة) - هو دويبة في قدر الفار لها شعر
أبيض ناعم ، ومنه يتخذ الفراء ، وهو أعز قيمة من السنجاب (صبح ٢ : ٤٩)

(٣) الخزري : نسبة الى بحر الخزر وما كان حوله من البلاد .

(٤) قوله : خير الثعالب الاسود ، جاء في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص
١٠٠) « وفي الثعلب جلده وهو كريم الوبر وليس في الوبر أغلى من الثعلب الاسود
وهو ضروب فنه الأبيض الذي لا يفصل بينه وبين الفئك ، ومته الخلتنجي وهو الاعم » .

(٥) كذا بالاصل وأظنه غلطاً من الناسخ وصوابه « الممصري » أي المصبوغ بالمصرة
وهو العصفر ، وقال ابن سيده : والثوب الممصر هو المصبوغ بالطين الاحمر أو
بحمرة طفيفة (المخصص ٤ : ٩٤) .

(٦) الخلتنجي : المقصود به الذي يشبه لونه خشب الخلتنج وهو شجر معروف
(ابن البيطار ٢ : ٦٨) وقد عرف أبو الوليد المرا كشي اللون الخلتنجي بقوله :
مخطط بسواد ودخنة (راجع مستدرك المعاجم العربية لدوزي ج ١ ص ٤٠٠)

وخير الفرش وأرفعه ثمناً وأجوده المرعزي^(١) القرمزي الأرمي المنير ، ثم
الخز الرقم ، ثم الخز القُطوع^(٢) ثم الديباج على عمل الخسرواني^(٣) الزومي ، ثم
الخز المدبج على الميساني^(٤) ، ثم البريون^(٥) ؛ ومهما كان من هذه الضروب منسوجاً
بالذهب فهو أجود وأبلغ في الثمن ، وقد تكون هذه الضروب كلها منسوجة
بالذهب إلا الأرمي والميساني والبريون .

وخير البريون المسكيّ الدقيق النسج ، ثم المخطط ، ثم المفلس^(٥) ثم الساذج ،
ثم المعين^(٦) ثم المنقط ؛ والغفارة المسكية إذا كانت رقيقة العمل نقيمة ربما بلغت
في الثمن خمسين ديناراً .

(١) المرعزي والمرعزاء - بكسر الميم - إذا خففت مددت وإذا شددت قصرت
وأصله بالنبطية (مرعزا) وقد تكلمت العرب به قديماً ، قال جرير من قصيدة
يهجو بها التميم :

كسائك الخنظلي كساء صوف ومرعزي فانت به تفيء

أى تخبخرت عجباً (راجع المعرب للجواليقي ص ١٣٧)

(٢) القُطوع جمع قطع وهو ضرب من الوشي في الثياب (المخصص لابن سيده)
(٣) الخسرواني ، نوع من نسج الحرير الرقيق الحسن الصنعة منسوب إلى عطاء
الأكاسرة ، وهو فارسي معرب (المعرب للجواليقي ص ٦٠ وشفاء الغليل للخفاجي) .
(٤) البريون كعصفور ، السندس ، وقال ابن بري : هو رقيق الديباج (تاج
العروس ٩ : ١٣٩) .

(٥) وبالاصل ، المقلس ، وهو تحريف بين ، والمفلس بمعنى المختم والمزركش
على هيئة الفلوس كما يقال ثوب مدنر ومدرهم أي موشى على صورة الدنانير والدرهم .

(٦) المعين ، ثوب في وشيه ترايبع صغار شبه باعين الوحش (المخصص ٤ : ٦٧)

وأبو قلمون^(١) من الزلالي^(٢) الخسرواني الرومي القرمزي عل خطوط مختلفة البنفسجي في الأحمر والأخضر ، وزعموا أنه يتلون ألواناً بارتفاع النهار ووهج الشمس ، والقيمة مرتفعة منه جداً .

وخير الأوكسية من الصوف المصرية ، ثم الخوزية الفارسية ، والمرعزي في المرعزي الفارسية الشيرازية ، ثم الاصفهانية المرعزي في الابريسم الفسوية ، ثم الطبرية^(٣) ، ثم الصوف في الصوف .

وخير الطيالس الرومانية الطبرية ، ثم الآملية^(٤) ثم المصرية ، ثم

(١) ابو قلمون ، عرفه مرتضى الزبيدي بقوله : ثوب رومي يتلون ألواناً للعيون نقله الجوهري ، وقال الأزهرى : يتراعى إذا أشرفت عليه الشمس بألوان شتى ، قال : ولا أدري لم قيل له ذلك ، وقد يشبه به الدهر والروض وزمن الربيع (تاج العروس ٩ : ٣١) - أقول : لفظ أبو قلمون يوناني معرب وهو في الأصل Abokalamon والنسيج المسمى أبو قلمون في المشرق وهو المعروف في الديار التونسية بعنق الحمام .

(٢) الزلية - بالكسر - البساط ج زلالي كما في لسان العرب والعباب ، وفي مستدرک التاج (مادة زلل ج ٧ : ٣٥٩) والزال الصافي من كل شيء ، قال ذو الرمة : كأن جلودهن مموهات على أبقارها ذهب زلال فكان المقصود هنا من الزلالي الصافي اللون .

(٣) على ذكر الأوكسية الطبرية نقل الجاحظ : أن قيمة الكساء الأبيض الطبري في عصره يساوي اربعمائة درهم والقومسى منها مائة درهم (كتاب الحيوان ٣ : ٨) (٤) قوله : الطيالس الرومانية نسبة الى الرويان وهي مدينة من نواحي قزوين (الاصطخرى ص ٢٠٦ - وابن حوقل ٢٦٩) - وكذا الآملية نسبة الى آمل وهما مدينتان بهذا الاسم : الاولى عاصمة طبرستان - وهي المقصودة هنا - مشهورة بضأنها وصفوها ومنسوجاتها (المقدسى ص ٣٥٥ وابن حوقل ٢٧١) والثانية مدينة في غربي جيحون في سمت بخارى بينها وبين جيحون نحو ميل .

القُومسية^(١) . وخير اللبود الصينية ، ثم المغربية الحمر ، ثم الطالقانية البيض^(٢) ثم الأرمنية ، ثم الخراسانية .

وخير النمر البربرى الموشح الشديد بياضه المشبع سواده الطويل الوشى السابانى^(٣) . وأظرف النمر الذى يكون فى وسط سواده نقطة سوداء صغيرة بيضاء ؛ وإن كان سواده متصلًا بعضه ببعض بشظية من سواد خفيفة كان أظرف له ، وإذا كانت فيه حمرة مع بياض يققّ وسواد حالك كان أحسن وأبلغ فى الثمن ؛ ونمر البربر صغار ومقدار الجلد منها ما يغشى سرجاً مفرداً ، ومنتهى ثمن الجلد منها خمسون ديناراً ، وأما المغربية والهندية فهما أوسع وأكبر ولا يبلغان فى الثمن ولا

(١) القومسية ، نسبة الى قومس من أكبر مدائن الديلم ، قال ابن حوقل : ويرتفع من قومس أكسية معروفة تحمل إلى الأمصار وهى فاشية فى جميع الارض (المسالك والممالك ص ٢٧١) - وقال المقدسى : أما قومس فلهم المناديل البيض من القطن المعلمة صغار وكبار وسواذج ومحشاة ربما يبلغ المنديل منها الفى درهم ، ولهم أيضاً أكسية وطيلاسة وثياب رقق من الصوف (كتاب أحسن التقاسيم ص ٣٦٧) .

(٢) نقل أبو منصور الثعالى هذه العبارة من هذا التأليف وعزاها إلى صاحبها فقال : وذكر الجاحظ فى كتاب « التبصر بالتجارة » ان خير اللبود الصينية ثم المغربية الحمر ثم الطالقانية البيض ، (ثمار القلوب ص ٤٣٣) . وتبعه النويرى فنقل عين العبارة المتقدمة عن الجاحظ لكنه جعل اسم الكتاب « النظر فى التجارة » (نهاية الارب ج ١ ص ٣٦٧) وهو تحريف واضح لنشابه ما بين لفظ « التبصر » و « النظر » - فلينتبه .

(٣) السابانى ، نسبة إلى السابان ، وهو فى الفارسية الطائر المعروف بالزرزور الذى ريشه منقط بنقط بياض ونقط سود ، وبه شبه الجاحظ هنا المختار من جلد من جلد النمر البربرية ، كان أقرب إليه أن يقول فى نعمته زرزورى أى فى لون الزرزور وهو عربى صريح .

يرتفعان ، وخير النور الوشى ، وخير القطن الأبيض اللين الصغار المحبوب اللطيف
البياض الصافى .

وزعم أن القرمز حشيشة تكون في أصلها دودة حمراء تنبت في ثلاثة مواضع
من الأرض ^(١) : في ناحية المغرب بأرض الأندلس ، وفي رستاق يقال له تارم ^(٢)
وفي أرض فارس ، ولا يعرف هذه الحشيشة وأما كنها إلا فرقة من اليهود يتولون
قلعها كل سنة في ماه اسفندارمذ ^(٣) فتبيس تلك الدودة ويصنع بها الابريسم
والصوف وغير ذلك ؛ وخير ما يصنع في الأماكن بأرض واسط .

(١) عرف الرحالة ابن حوقل القرمز الارمنى بقوله : وهو صبغ أحمر يصنع
منه المرعزى والصوف ، وأصله من دود ينسج على نفسه مثل دود القز إذا نسجت
على نفسها القز (المسالك والممالك ص ٢٤٤) .

(٢) تارم ، من مدائن فارس من ناحية شيراز بينهما ٨٢ فرسخاً (الاضطخري
ص ١٣١ وما بعدها — وابن حوقل ص ٢٠١ و ٢٠٣ و ٢٢٦ — والمقدسى
٤٢٣ و ٤٢٦) .

(٣) ماه اسفندارمذ ، هو اسم الشهر الثانى عشر من السنة الشمسية عند الفرس ،
واليوم الخامس منه هو « اسفندارمنذروز » كان من الأعياد الكبيرة عند قدماء
الفرس وفيه كانوا يلتقطون الاعشاب من الجبال والادوية ويتخذون الادهان
ويهيئون البخور والدخن ، وفيه تكتب الرقاع لدفع الهوام والحشرات فيكتبون من
ظهور الفجر إلى طلوع الشمس رقية على كواغذ مربعة ويلصقون منها على الجدران
(راجع كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية لليرونى طبعة ليبسيج سنة ١٨٧٨
ص ٢٢٩ — وعنه نقل القزوينى فى كتابه « عجائب المخلوقات » طبع بهامش حياة
الحيوان ص ١٢٨ وما بعدها) —

أقول : وهذه العادة الفارسية القديمة لم تنزل متبعة في البلاد التونسية من كتب
رقاع صغار بها آية السموم من القرآن وذلك اليوم الأول من شهر مايو الأعجمى
ثم يلصقونها بمدخل البيوت دفعا للعقارب والحشرات السامة . قلت : وكذلك في
مدينة حلب

وزعموا أن البلسان شجر بأرض مصر يُشرطُ في أيام الربيع فيخرج منه دهن البلسان فيؤخذ منه ، وهو مقفود في الأرض كلها ما خلا مصر^(١) .
وحبّ الزلم^(٢) ينبت بأرض شهرزور ، وزعموا أنه جيد للجماع ، والقرماز شجر بالفارسية بنجكشت (؟) قلما يوجد إلا ومعه الدفلى ، وهو نبت يستخير بالدفلى النابتة عنده يقال له فازهر^(٣) فلذلك غرس معه في موضع يكون به ، وقيل حملاً جميعاً من الروم وله قصة عجيبة طويلة .

باب يجلب من البلدان من طرائف السلع والأمتعة والجوارى والأحجار وغير ذلك

يُجلب من الهند : الببور والنور والفيلة وجلود النور والياقوت الأحمر والصندل

(١) البلسان المصرى ، قال الاصطخرى : وحوالى الفسطاط زرع ينبت مثل القضبان يسمى البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يعرف بمكان فى الدنيا إلا هناك (الاصطخرى ٥٤) وجعله ابن حوقل فى عين شمس خاصة (المسالك والممالك ص ١٠٦) .

(٢) حب الزلم ، عرفه ابن البيطار بقوله : هو حب دسم مفرطح اكبر من الحمص قليلا أصفر الظاهر أبيض الباطن طيب الطعم لذيد المذاق ويجلب من بلاد البربر ، وينبت فى ناحية شهرزور ، وقد ينبت منه شئ بصعيد مصر يسمونه بالسقيط (جامع مفردات الادوية ٢ : ١٦٦ و١٦٧) — قلت وهو المعروف عندنا فى تونس بحب عزيز .

(٣) المشهور ان الفازهر حجر كريم لانبات كما ورد هنا ، وانه صنفان حيوانى ومعدنى وهو عند الافرنج Bézoar واسمه فارسى معرب وأصله پازهر ومعناه « منفى السم » — وقد ذكر معدنه وأوصافه وخواصه ومنافعه جماعة من علماء الأحجار كابن البيطار فى مفرداته والتيفاشى فى كتاب أزهار الافكار والقزوينى فى عجائبه وسواهم كثير ، فليراجع هنالك .

الأبيض والأبنوس وجوز الهند (١) .

ويجلب من الصين : الفرند والحريير والغضائر (٢) والسكاغد والمداد والطواويس والبراذين الفرّة والسروج واللبود والدارصيني وادارند (٣) الخالص ، ويجلب من الروم : أوانى الفضة والذهب والدنانير الخالصة القيسرانية والعقاير والبريون والابرون والديباج والبراذين الفره والجوارى وطرائف الشبّه والأقفال المحكّمة واللورا (٤) ومهندسوا الماء وعلماء الحراثة والاكارّة وبناء الرخام والخصيان .

(١) قال أبو منصور الثعالبي : ولببلاد الهند من الخصائص ما لم يكن لغيرها فمنها الفيل والسكر لادن والبر والبيغاء والطاؤوس والدجاج الهندي والياقوت الاحمر والصندل الابيض والعاج والساج والتوتيا والقرنفل والسنبل والفلفل وغيرها من العقاير (ثمار القلوب ٤٢٣) .

(٢) الغضائر ج غضارة هي القصعة أو الصحن الكبير ذو ساق يتخذ من خزف ، وارف الغضائر ما يؤتى به من الصين كما نص عليه الجاحظ هنا لاشتهارها وحسن صنعها وجودة طليها وجمال رونقها ، وقال شمر : الغضار الطين الأحمر نفسه ومنه يتخذ الخزف الذى يسمى الغضار . وقال ابن دريد : فاما الغضارة التى تستعمل فلا أحسبها عربية محضة (تاج العروس وغيره) .

(٣) لفظ « أدارند » هنا لا معنى له ؛ وأظنه تحريفاً من الناسخ ، ويظهر أنه قصد الراوند . قال مرتضى : الروند الصينى وهو أنواع أربعة أعلاها الصينى ودونه الخراسانى ويعرف بروند الدواب تستعمله البيطرة وهو خشب أسود ، والأطباء يزيّدونها الفأ فيقولون « راوند » ولفظه ليس بعربى محض (تاج ٢ : ٣٥٩ و ٣٦٠ مادة راد)

(٤) كذا بالأصل ولم أر لها معنى ، ولا شك أن الناسخ حرف فلم يأت باللفظ على أصله اللهم الا أن يكون اللاذ واللاذة وهى ثياب من حرير تنسج بالصين تسميها العرب والعجم اللاذ (المخصص ٤ : ٦٨) وفى القاموس : اللاذة ثوب حرير احمر ينسج بالصين .

ومن أرض العرب : الخيل العراب والنعام والنجائب والقانة ^(١) والأدم ^(٢) .
ومن البربر ونواحي المغرب : النمر والقرظ ^(٣) واللبود والبزاة السود .
ومن اليمن : البرود والأدم والزرافات والجواميس ^(٤) والعقيق والكندز ^(٥)
والخيطر ^(٦) والورس ^(٧) .
ومن مصر : الحجر الهاليج ^(٨) والثياب الرقاق والقراطيس ودهن البلسان ،
ومن المعدن الزبرجد الفائق .

- (١) القانة وجمعها القان ، هو شجر جبلي ينبت بجزيرة العرب . زاد الأزهري
ينبت في جبال تهامة ويتخذ منه القسي (لسان العرب) .
(٢) الأدم ج أديم ، هو الجلد المدبوغ اذا كان عليه شعره أو صوفه أو وبره .
(٣) بالاصل القرظ ، وهو تحريف واضح وصوابه القرظ ، وهو ورق
السلم تدبغ به الجلود ، وقيل هو السنط يعتصر منه الاقاقيا وهو مما يتداوى به
(المعاجم اللغوية) .
(٤) كذا بالاصل ولا أخالها إلا الجواشن ج جوشن ، وهو الدرع من حديد .
وقال ابن سيده زرد يلبسه الصدر والحيزوم (المحكم) ، خط بالملكة الزيتونية
في تونس) .
(٥) الكندر ضرب من العلك عن ابن سيده وهو اللبان عند الأطباء وغيرهم
(تاج ٣ : ٥٢٩) .
(٦) الخطر — بالكسر — نبات يجعل ورقه في الخضاب الاسود يختضب به ،
وقال أبو حنيفة هو شبيه بالكتم وكثيراً ما ينبت معه واحده خطرة (تاج ٣ : ١٨٣)
(٧) قال الثعالبي ومن خصائص اليمن الزرافة ، وكان الاصمعي يقول أربعة قد
ملاّت الدنيا ولا تكون إلا باليمن الورس والكندر والخطي والعقيق (كتاب ثمار
القلوب ٤٢٥) وقد جعل الناسخ هنا الخطي — وهي الرمح — مكان الخطر ،
فليتنبه .
(٨) علي ذكر الحمير المصرية قال الاصطخري : ومصر بغال وحمير لا يعرف في

ومن الخزر : العبيد والإماء والدروع والبيضات والمغافر .
ومن أرض خوارزم : المسك والقاقم والسمور والسنجاب والفنك وقصب الطيب .
ومن سمرقند : الكاغد (١) .

شئ من بلاد الاسلام أحسن ولا أئمن منها ، ولهم من وراء أسوان حمير صغار في مقدار الكباش معلية تشبه البغال المعلية ، اذا خرجت من مواضعها لم تعش ، ولهم حمير يقال لها (السسلاقية) بأرض الصعيد زعموا أن أحد أبويها من الوحشى والآخر من الأهلى فهى أسير تلك الحمير (راجع مسالك الممالك ص ٥٥ وكذا ابن حوقل ص ١٠٧) .

(١) كاغد وكاغد وكاغذ ، لفظ صيني معرب دخل العربية بطريق الفارسي ، ولم يكن الكاغد معروفا بالشرق في أول عهد الاسلام وإنما كانت الكتابة على القراطيس المتخذة من البردى المصرى أو على الرقوق ، وأول ظهور الكاغد في الاسلام كان في سمرقند صنعه هنالك أسارى من الصين أسرههم الأمير زياد بن صالح في وقعة اطلخ سنة ١٣٤ للهجرة فاتخذوه له من خرق الكتان والقنب على ما كان جار في بلادهم فقلدهم الناس من ذلك الحين وكثر صنعه في بقاع متعددة من بلاد الاسلام ، ومنها دخل الى أوربا واشتهر — قال أبو منصور الثعالبي : كواغد سمرقند هى من خصائصها التى عطالت قراطيس مصر والجلود التى كان الأوائل يكتبون فيها لأنها أنعم وأحسن وأرفق ، ولا تكون الا بسمرقند والصين ثم كثرت الصنعة واستمرت العادة حتى صارت متجراً لاهل سمرقند فعم خبرها والارتفاق بها الى جميع البلدان فى الآفاق (ثمار القلوب ص ٤٣١) — وذكر المقرئى فى خططه ان جعفر البرمكى هو أول من استبدل الكتابة على القراطيس بالكاغد فى الدواوين (النويرى ١ : ٣٦٧) .

أقول : ومن أشهر الأصناف التى كانت تصنع قديماً فى العالم الاسلامى : الكاغد الفرعونى تقليداً للقراطيس المصرية المستعملة الى حدود ذلك الوقت ، والكاغد السليمانى نسبة الى سليمان بن رشيد ناظر بيت المال بخراسان على عهد الخليفة هارون الرشيد ، والجعفرى منسوب الى جعفر البرمكى الوزير العباسى ، والطلحى منسوب

ومن بلخ ونواحيها : العنب الطيب والفوشنة^(١) .

ومن بوشنج : السكر المرئي .

ومن مرو : الضرابون بالبرابط والبرابط الجياد والطنافس والثياب المروية^(٢) .

ومن جرجان : العناب والتدرج وحب الرمان الجيد واليرموق^(٣) اللين

الى طلحة بن طاهر ثاني امراء بني طاهر ، والنوحى نسبة الى الامير نوح الاول من بني ساسان ، وسوى ذلك كثير ؛ وقد شاعت الوراثة في البلاد العربية وخصت بدور صناعة في العراق واليمن وفارس والشام ومصر والمغرب — لا سيما في القيروان والمهدية — وفي الاندلس خصوصاً بمدينة شاطبة (Xativa) وغيرها (انظر كتاب الفهرست لابن التديم ص ٢١ وصبح الاعشى ١ : ٤٧٤ و ٤٧٦) .

(١) الفوشنة ، ويسمىها أبو بكر بن الفقيه الهمداني (الغوشنة) (كتاب البلدان ص ٢٥٥) ولم نهتد الى معرفة ماهيتها . قلت : وهي معروفة الآن بالفوشنة .

(٢) ثياب مرو ، قال الثعالبي : كانت العرب تسمى كل ثوب صفيق يحمل من خراسان المروى وكل ثوب رقيق يجلب منها الشاهجانى ، لان مرو عندهم أم خراسان ، ويقال لها مرو الشاهجان ، وقد بقى إلى الان اسم الشاهجان على الثياب الرقيقة ، وما تختص به مرو الثياب (الملحم) (ثمار القلوب ص ٤٣١) - ومن ينسب إلى مرو من الرجال يقال له مروزي ومن الثياب مروى (العقد الفريد ٣ : ٢٥٧) . أقول : والمتعارف هو أن النسبة إلى مرو الروز : مروزي ، وإلى مرو الشاهجان : مروى ، للتفريق بين المدينتين .

(٣) لم نقف على معنى للفظ (اليرموق) وكأنه تحريف (اليرموق) بالفتح ، فارسي معرب (نرمه) وهو اللين الناعم من كل شيء ، وأنشد الليث لرؤبة يصف شبابه :

اجر خزاً خطلاً ونرمقا ان لريعان الشباب عتها

(تاج ٧ : ٧٥) — ويمكن أن يكون ايضاً (يلمق) ج يلامق وهو ضرب من

الفراء المبطنة .

والابريسم الجيد^(١) .

ومن آمد : الثياب الموشية والمناديل والمقارم^(٢) الرقاق والطبالسة من الصوف .

ومن دباوند^(٣) : نصول السهام .

ومن الري : الخوخ والزئبق واليرمق والاسلحة والثياب الرقاق والامشاط

(١) قال الاصطخرى ، ويرتفع من جرجان من الابريسم شىء كثير ، وابريسم طبرستان يحمل بزر دوده من جرجان ولا يرتفع من بزر طبرستان ابريسم ، وبجرجان الثلج والنخيل وفواكه الصرود والجروم من التين والزيتون وسائر الفواكه (الاصطخرى ص ٢١٣ وابن حوقل ص ٢٧٣) — وقال المقدسى ، ولاهل جرجان المقانع القزيات تحمل إلى اليمن والعناب ، ولهم ديباج دون (أحسن التقاسيم ص ٣٦٧) .

(٢) المقارم ج مقرمة وهى الستر ، وعن ابن الاعرابى هى المحبس نفسه يقرم به الفراش قال : وهو ثوب من صوف فيه ألوان من عهون فاذا خيط فصار كأنه بيت فهو كلة ، وقد تزين المقارم فى أطرافها بالرجائز وهى نسيجة حمراء عرضها ثلاث أصابع وأربع (المخصص ٤ : ٧٥) أقول : وقد أخذ الافرنج لفظ مقرمة عن اللغة العربية واطلقوه على نوع من الطرز يسمونه Macramé .

(٣) دباوند — كذا بالأصل وهو عندى تحريف من الناسخ و صوابه (دنباوند) وهو جبل عال بناحية كرمان ، قال ابن الفقيه : وبكرمان مدينة يقال لها (دمندان) وهى مدينة كبيرة واسعة وبها اكثر معادن الذهب والفضة والحديد والنحاس والنوشاذر والصفير ومعدنه بجبل يقال له (دنباوند) جبل مرتفع شاهق فى الهواء ارتفاعه ثلاث فراسخ (كتاب البلدان ٢٠٦) .

والقلانس الملصكية والقسيات^(١) الككتان والرمان^(٢) .

ومن اصفهان : الشهد والعسل والسفرجل والكثيرى الصينى والتفاح والملح
والزعفران والاشنان والاسفيداج^(٣) والكحل والسرر المطبقة والاثواب الجياد
والشراب من الفواكه^(٤)

ومن قومس : الفؤوس والأمساح والجتتر^(٥) والطيالسة من الصوف .

ومن كرمان : النيلج والكمون .

ومن الجور : الجوارشن^(٦) .

(١) بالأصل : العسيات ، وعندى أنها القسيات ، نوع من الثياب كانت تجلب
أولا من قس بمصر ثم أطلق الاسم على غيرها ، وقد ورد ذكرها فى الحديث
الشريف (راجع النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير) وقال ابن سيده :
الثياب القسية تنسب إلى قس وهو موضع وهى ثياب فيها حرير تجلب من نحو مصر
وقد نهى عن لبسها (المخصص ٤ : ٧٢) .

(٢) قال الثعالبي وكان يحمل إلى السلطان مع خراج الرى — وهو اثنا عشر الف
الف درهم — من الرمان مائة الف ومن الخوخ المقدد مائة الف رطل (ممار
القلوب ٤٢٨) .

(٣) الاسفيداج ، فارسى معرب وهو نوع من الطلاء أبيض اللون شارقه ويسميه
الافرنج Blanc de ceruse وهو المعروف فى تونس بالباروق ، وقد أطال ابن
البيطار فى ذكر صنعه وتحضيره فليراجع (جامع المفردات ١ : ٣١) .

(٤) قال الثعالبي وكان يحمل من اصفهان إلى حضرة السلطان كل سنة مع خراجها
— وهو واحد وعشرون الف الف درهم — قدر كبير من الكحل ومن العسل الف
الف رطل ومن الشمع عشرون الف رطل ، وكحلها موصوف بالجودة والزعفران
بها كثير (ممار القلوب ٤٢٧) .

(٥) الجتتر ، فارسى معرب وهى المظلة تتخذ للوقاية من الشمس .

(٦) كذا بالأصل والأقرب أن تكون الجواشن ج جوشن وهى الدروع وقد

وبزر قطونا (١) .

ومن برذعة : البغال الفرّه (٢) .

ومن نصيبين : الرصاص .

ومن فارس : الثياب الڪتان التوزى والسابرى وماء الورد (٣) ودهن النيّلو فر

ودهن الياسمين والأشربة .

ومن فسّا : الفستق وأصناف الفواكه وطرائف الثمر والزجاج .

ومن عُمان وسواحل البحر : اللؤلؤ .

ومن ميسان : الأنماط والوسائد .

ومن الأهواز : ونواحيها السكر والديباج الخز (٤) .

ذكرها الجاحظ في « المحاسن والأضداد » (فصل محاسن الهدايا) .

(١) بزر قطونا ، نبت معروف وهو صنفان شتوي وصيفي وأنفع ما فيه بزره ، وهو الاسفيون بالفارسية وفي اليونانية فسيلون Psyllium (راجع المختصر الفارسي للصقلي ، والمعتمد في الأدوية لابن رسولاً طبع مصر ص ١٦ ، وكشف الرموز للجزائري وغير ذلك) .

(٢) قال الاصطخري ويرتفع من نواحي برذعة بغال تجلب إلى الآفاق (المسالك ١٩٠) وقال ابن حوقل ويحلب منها من البغال الجياد الموصوفة بالنجابه والصحة والجلد والصبر إلى خراسان والعراق والشام وغير ذلك ما يستغنى بشهرته عن ذكره (ابن حوقل ٢٤٨) .

(٣) قال الشعالي جور من كور فارس مخصوصة بالورد الذي لا أطيب منه في سائر البلاد يضرب به المثل في الطيب وهو مجلوب إلى أقاصى المشرق والمغرب ... وكان يحمل من فارس إلى الخلفاء كل عام مع خراجها من ماء الورد سبعة وعشرون الف قارورة (ثمار القلوب ٤٢٧ - وراجع أيضا الاصطخري ١٥٢ وابن حوقل ٢١٣ والمقدسى ٤٤٣) .

(٤) السكر من خواص الأهواز ومفاخرها ومتاجرها ، ولا يكون الا بها على

... والصنّاجات والرقاصات (١) وأنواع التمر والدبس والقند (٢) .
ومن السوس : الأترج ودهن البنفسج والشاه سبرم (٣) والجلال والبراذع .
ومن الموصل : الستور والمسوح (٤) والدراج والسُماني .

كثيرة قصب السكر في سائر النواحي ، والمثل مضروب بسكر الأهواز كما قال
أبو الطيب المتنبى :

تقضم الجمر والحديد الأعادي دونه قضم سكر الأهواز
وكان يحمل إلى الخلفاء كل عام مع خراج الأهواز - وهو خمسة وعشرون ألف
درهم - ثلاثون ألف رطل من السكر ؛ وبما ينسب إلى الأهواز من النفائس ديباج
تسر وخز السوس ، قال كشاجم يصف الروض :

كأن الذي دجت تسر وطرزت السوس فيه نسر

(ثمار القلوب ٤٢٦) .

(١) حصل هنا ترهل عطل قراءة بعض الكلمات . أما لفظ « الصنّاجات »
الواردة بالأصل فأظنها تحريفاً من الناسخ ولا أخالها إلا « النصاحات » وهي الجلود
واحدتها نصاحة (راجع المخصص ٤ : ١٠١) - وكذا قوله « الرقاصات » فهي

عندي « الطراحات » ج طراحة وهي مقاعد صغيرة مربعة تطرح في البيوت

(٢) القند والقنّدة ، معرب « كند » وهو عصارة أو غسل قصب السكر إذا جمد

وهو المعروف عند الأطباء بسكر النبات ويسميه الأفرنج *Sucre candi* أي سكر مربي

(٣) شاه سبرم ، ويقال أيضاً شاهسفرم وشاهسفرم ، نوع من الريحان كان يسمى

الريحان السلطاني والحبق الكرمانى . واللفظ فارسي معرب « شاه سيرغم » وهو

بما عرب قديماً لوقوعه في شعر الأعشى (شفاء الغليل وتاج العروس ٨ : ٣٦١ -

وكتاب المعتمد لابن رسولاً ص ١٧٨ وغير ذلك) .

(٤) المسوح ج مسح ، عن ابن سيده كساء مخطط يكون في البيت يستتر به

ويفترش (المخصص ٤ : ٨٠) ولا يخفى أن منسوجات الموصل كانت لها من قديم

ومن حلوان : الرمان والتين والكامخ^(١) .
ومن أرمينية واذربيجان : اللبود والبراذع والفرش والبسط الرقاق
والتكك والصوف^(٢) .

باب ما يختار من البزاة والشواهين والبواشق والصقور

وغير ذلك من جوارح الطير

خير البزاة البيض ما يقع بناحية الترك الى جيلان ، ثم السود الغرايبة التي

الزمان شهرة كبيرة في الشرق والغرب حتى أن الامم الأفرنجية أطلقت عليها اسم
Mousseline تذكيراً لأصل موردها .

(١) الكامخ ، فارسي معرب وأصله « كامه » ويجمع على كواميخ ، قال الجوابيقي
الكامخ الذي يؤتم به (كتاب المعرب) وقال مرتضى وغيره في شرح الكامخ
ومنهم من خصه بالمخللات Hors d'œuvres التي تستعمل لتشهي الطعام (تاج ٢ :
٢٧٦) وكذا شفاء الغليل - أقول والمعنى الأخير هو المقصود هنا ويؤيده ما حكاه
الجاحظ نفسه في البيان والتبيين (ج ٣ ص ١٩١ من طبعة مصر سنة ١٣٣٢) .
(٢) قال ابن حوقل عند ذكره أرمينية واذربيجان ، وبهذه البلاد وفي أضعافها
من التجارات والمجالب وأنواع المطالب من الدواب والأغنام والثياب المجلوبة إلى
النواحي والأقطار ، معروفة لهم ومشهورة كالتكك الأرمينية التي تعمل بسلهاس ،
تباع التكة من دينار إلى عشرة دنانير ولا نظير لها في سائر الأرض . ثم قال
وأكثر ما يخرج إلى بلاد الاسلام من الديباج والبزبون وثياب الكتان الرومي
وثياب الصوف والأكسية الرومية فمن اطرا بزنده (المسالك والممالك ص ٢٤٦)
- وقال الثعالبي وكان يحمل إلى حضرة السلطان مع خراج أرمينية كل عام - وهو
ثلاثة عشر الف درهم - من البسط المحفورة (؟) ثلاثون بساطاً ومن الرقم
خمسائة وثمانون قطعة ومن البزاة ثلاثون بازيماً (ثمار القلوب ٤٢٨) .

بناحية الزنج الى الهند والى اليمن ، ثم الحجر المشرقة ، ثم الديزج (١) .

وخير الشواهين السود الغرايبة البحرية ، والبيض الجرجانية .

وكذلك البواشق يستحب منها السود الغرايبة البحرية ، ثم البيض الهندية ، ثم الحجر البحرية ، الحجر البطن والصدر بيكانات (٢) بيض ، المزهر اللون ، الكبير الرأس ، الغائر العينين من غير هزال ، العريض المنخرين ، الواسع الصدر مرتفعه ، اللين الزغب ، الطويل الذنب ، الاخضر الأرجل الذي رجله قريية من الدستبان (٣) الثقيل الوزن فاذا بلغ وزنه مائة وثلاثين (٤) فذلك غاية (٥) .

(١) الديزج ، فارسي معرب ديزه بالكسر ومعناه ذولونين أو هوبين لونين غير خالص (تاج ٢ : ٤٢) ويروى أيضا ديرج بالراء المهملة (النهاية لابن الأثير ٢ : ٢٢) .

(٢) بيكانات ، فارسي معرب وأصله « يكانه » ومعناه واحد والمقصود هنا معلم بنقط بيض .

(٣) الدستبان ، فارسي معرب وهو القفاز من جلد يتخذة البياز في يده عند ما يلعب أو يصطاد بالطير الجوارح .

(٤) كذا ورد من غير تعيين ، والمظنون انه يقصد مائة وثلاثين درهماً يعنى نحو أربعمئة وعشرة غرامات باعتبار وزن الدرهم الشرعي بثلاثة غرامات وخمسة عشر سنتيغرام .

(٥) قال القلقشندي : المختار من صفات الشواهين فيما ذكره صاحب « المصايد والمطارد » الأحمر اللون إذا كان عظيم الهامة ، واسع العينين حادهما ، سائل السفعتين ، تام المنسر ، طويل العنق ، رحب الصدر ممتليء الزور عريض الوسط جليل الفخذين قصير الساقين ، قريب العقدة من القفا ، طويل الجناحين ، قصير الذنب ، سبط الكف ، غليظ دائرة الحصر ، قليل الريش لينه ، تام الخوافي ، ممتليء العكوة (صبح الأعشى ٢ : ٥٨) — وقال أيضاً في صفة البزاة ناقلاً عن الكتاب المتقدم : المختار من ألوانها الأحمر الأكثر سواداً الغليظ خطوط الصدر والاشهب الشديد الشبهة

وزعموا ان اليؤيو^(١) ذكورة الصقور ، والعفصى^(٢) ذكورة البواشق
وذكورة البزاة بمنزلة اليؤيو الصغير .

وقالت الفرّس: لا يكاد الفرّس والبازي يكونان حسنى المنظر لا مخبر لهما ، ولا
حسنى المخبر لا منظر لهما ، فان اجتمع المخبر والمنظر كان فائقاً .

باب آخر

كل ثوب من اللباس والفرش اذا كان ألين وأنعم وأسنى كان أرفع ، وكل علق
من الجواهر والأحجار اذا كان أصفى وأضوأفهو أنفس ، وكل حيوان من الوحشية
والأهلية اذا كان أجسم وأطوع فهو آثر وأخضر ، وكل انسان من الشريف والوضيع
اذا كان أعقل وأسهل فهو أجمل ، وكل امرأة حرة أو أمة اذا كانت أكثر سكوناً
وأجمل حالاً وأنزرتعماً وأشكر للناس فهى أصون ، وكل طير من السهلية والجبليّة
اذا كان آلف كان آثر ، وكل طارف وتالد اذا كان أزكى وأجل فهو أهناً ، وكل
عدو صغير أو كبير اذا كان حمياً فهو أعدى وأشد حسداً ، ومن لم يعرف مأواه
فمحدور قر به ؛

الشبيه بالأبيض ، والأصفر المدبج الظهر - ثم قال : ان ذكر البازى يسمى الزرق
(صبح ٢ ص ٥٦ و ٥٧) .

(١) « اليؤيو » قال القلقشندى : وتسميه أهل مصر والشام الجلم . هو طائر صغير
أسود اللون يضرب للزرقة وسموه الجلم أخذاً من الجلم وهو المقص تشبيهاً به لأن
له سرعة كسرعة المقص فى قطعه (صبح ٢ : ٦١) .

(٢) « العفصى » طائر صغير اشتق اسمه من لونه إذ كان يشبه العفص - وورد
فى صبح الاعشى اسم العفصى « بالفقى » وفى التعليق عليه قال مصححه « العفصى »
(؟) وكلاهما تحريف والصواب العفصى كما هنا للسبب الذى بينا - قال القلقشندى :
هو باز قضيب قليل الصيد ذاهل النفس (صبح ٢ : ٥٧) .

والدول تنتقل والأرزاق مقسومة فاجملوا في الطلب وارحموا المسكين واعطفوا على الضعيف تجاوزوا به وتثابروا ، والقضاء جالب يجلب الأمور، وخير النوم ما يذهب الأعياء والكسل ؛

ومعرفة الأشياء بالحواس الخمس جودة الشيء بالنظر ان يكون حسناً رائقاً ، وبالخيشوم اذا كان طيباً أرجاً ، وبالمذاق اذا كان حلواً عذباً ، وبالسمع أن يكون صافي الوقع والصوت ، وباللمس أن يكون ليناً ناعماً^(١) .

وكانت العجم تقول : القلب والبصر شريكان ، والطعم والحس متفقان ، والفطنة والحفظ رفيقان ، والسمع والمنطق مجتمعان .

وخير الناس السهل الطلق الوجه المتواضع ، وفراصة الرجل السوء أن يكون منقبضاً غير منشرح ، وأن يرى لونه الى الصفرة والكمود من غير مرض ، وأن يكون طائش القلب ، وأن يكون للدعابة والمزاح كارهاً له عائباً ، وأن تراه غليظ اللفظ عند المحاورة .

ومن فراصة الرجل الصالح أن تراه سهلاً طلقاً ذا منظر بهي وكلام شهى ، سبط الجبين غير منقبض ولا نزق علق قلق ، وغير كاره للدعابة والمزاح ، يذكر من يذكر بخير لين المحاورة متواضعاً .

وزعم سابور الملك أنه ليس ينبغي للعاقل أن يعتدّ بقول سبعة من الناس : بقول السكران ، والدلال ، والمضحك ، والعليل ، والعراف ، والنمام ، والنساء .

تم الكتاب ولله المنة والحمد كما هو اهله

وصلى الله على محمد وآله وسلم

(١) ذكر الجاحظ (الحواس الخمس) غير ما مرة في غضون تأليفه المطبوعة ، قال : هي السمع ، والبصر ، والذوق ، والشم ، والمجسة - ولم يقل اللبس (كتاب الحيوان ج ٣ ص ١٨٩) .

تتمة للناشر

رأينا من المناسب أن نثبت هنا فصلاً عقده الرحالة ابن الفقيه الهمداني — وهو قريب من عصر الجاحظ — في (كتاب البلدان) له في «ذكر ما خص الله تعالى كل بلدة بشيء من الأمتعة دون غيرها» — وقصدنا بذلك مقابلة ما كتبه الجاحظ في باب «ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والأمتعة وغير ذلك» وهو الوارد فيما مر من رسالته هذه .

قال أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه (١) .

ولولا أن الله عز وجل — خص بلطفه كل بلد من البلدان وأعطى كل إقليم من الأقاليم بشيء منعه غيرهم لبطلت التجارات وذهبت الصناعات ولما تغرب أحد ولا سافر رجل ولتركوا التهادى وذهب الشراء والبيع والأخذ والاعطاء ، إلا أن الله عز وجل أعطى كل صقع في كل حين نوعاً من الخيرات ومنع الآخرين ليسافر هذا إلى بلد هذا ، ويستمتع قومٌ بامتعة قومٍ ليعتدل القسم وينتظم التدبير . قال الله عز وجل : «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً» . وقال الله عز وجل : «وقدر فيها أقواتها» .

فخص الله — جلّ وعزّ — بلاد «السند» «والهند» بأنواع الطيب والجواهر كالإيواقيت والألماس وغير ذلك من الحجارة الثمينة والسكر كدن والفيل والطاووس والأعواد والعنبر والقرنفل والسنبل والخولنجان والدارصيني والنارجيل

(١) (كتاب البلدان) طبعة ليدن سنة ١٣٠٢ ص ٢٥١ .

والهليج والتوتياء والقنا والخيزران والبقم والصندل والساج والفلفل وعجائب كثيرة .

وخص أهل « الصين » بالصناعات وأعطاهم ما لم يعط أحداً فلهم الحرير الصيني والغضائر والسرج وغير ذلك من الآلات المحكمة العجيبة الصنعة المتقنة العمل ، ولهم أيضاً مسك إلا أنه ليس بجيد ، وقالوا إنما يتغير في البحر لطول المسافة . ثم « الروم » وما قد خصها الله عز وجل به من العلوم والآداب والفلسفة والاحكام والهندسة والحدق بالأبنية والمصانع والقلاع والحصون والمطامير وعقد الجسور والقناطر وعمل الكيمياء ، ولهم من الديباج الرومي والبرزيون ، وفي بلادهم الميعة والمصطكى .

ثم هذه البلاد وما خصت به من الرمي فهم رماة الحدق ولهم الخيل العجيبة والأفراس السابقة ، وفي بلادهم معدن الزبرجد والذهب وزيهم شبيه بزي العرب كأنها قطعة من بلاد اليمن .

ولأهل « المغرب » البغال البربرية والجواري الأندلسية والنور الزنجية .

ثم ما قد خص به أهل « مصر » من النيل وعجائب ما فيه من السمك والخيل والتماسيح ، ولهم السمك الرعاد والاسقنقور ، ولهم الثياب الديبكية والشطوية والقصب الموزون والمسير وغير ذلك من أنواع ثياب السكتان والصوف من الأكسية ، ولهم البغال المصرية والحجر المريسة والثياب التنيسية والاسكندرانية .

ولأهل اليمن الحلل اليمانية والثياب السعيدية والعدنية ، وفي بلادهم الورس والكندر ، ولهم النجائب المهرية والسيوف اليمانية ، وفي بلادهم القردة والنسناس وغير ذلك من أنواع العجائب .

ثم العراق قلب الأرض وخزانة الملك الأعظم وما قد خص الله جلَّ

وعلا به أهل الكوفة خاصة من عمل الوشى والخز وغير ذلك من أنواع الفواكه
والتمور والقسوب ماقد عدم مثله بالبصرة والأهواز وبغداد والحجاز مثل الهيرون
والمشان وقسب العنبر والنرسيان ، ولهم الأدهان الطيبة الكثيرة ، ثم قل
في عجائب (بغداد) ما شئت التي قد اجتمع فيها ما هو متفرق في جميع الأقاليم
من أنواع التجارات والصناعات ، ولهم الذي لا يشركهم فيه أحد الثياب البيض
المروية والزجاج المحكم من الأقداح والأقحاف والكاسات والطاسات والغضائر
الحجرية ، ولهم الداروش واللكاء خاصة وفيهما أعجوبة ، وذلك أن الداروش
يتخذ من هذا الجانب واللكاء من ذلك الجانب فلو جهد صاحب الداروش أن
يتخذ من جانب صاحب اللكاء لأعوزه وكذلك لو جهد صاحب اللكاء أن
يتخذ في جانب صاحب الداروش لتعذر عليه ذلك ، على أنهم قد امتحنوا ذلك
وجربوه ففسد وتعذر عليهم ، وقد حمل المعتصم بالله صنع القراطيس إلى سر من
رأى مع تربتها ومائها وأمرهم باتخاذها هناك فلم يخرج منه إلا الخشن الذي يتكسر.
ولأهل كورة دجلة والسواد وميسان ودست ميسان من عمل الستور والبسط
وعمل الميسانى والحريير والدرايك والدورنك وغير ذلك من أنواع الفرش والبسط
ما ليس لأحد .

ولأهل (البصرة) من النخيل وأنواع التمور ما عدم مثله في جميع كور النخيل ،
وذكر « الجاحظ » أنهم أحصوا أصناف نخل البصرة دون نخل المدينة ودون مصر
واليمامة والبحرين وعمان وفارس وكرمان ودون الكوفة وسوادها وخيبر وذواتها
والأهواز وما بها أيام المعتصم وإذا ثلاثمائة وستون ضرباً من مغل معروف وخارجى
موصوف و بديع غريب مع طيب عجيب .

ولأهل (الأهواز) انواع من السكر والتمور .

ولاهل (السوس) خاصة (وُجُنْدِيَسَابُور) حذق في اتخاذ أنواع ثياب الحرير
والديباج وكذلك لاهل (تستر) .

ثم (الجبل) وعجائبها وما قد أعطوا من الفواكه السرية الكثيرة والزعفران
والأقطان واتخاذ طرائف الألبان كالجبين واللوز .

ولأهل (همدان) خاصة حذق باتخاذ المرايا والملاعق والمجامر والطبول المذهبة
التي قد فاقوا بها واتخاذها جميع أهل الأرض .

ولأهل (الري) الأطباق المدهنة والحرير وآلات كثيرة يتخذونها من
الخشب من الأمشاط وغير ذلك من المالح والمغارف ، ولهم الاكسية البيض
الطرازية والطيايسة البيض السرية والثياب المنيرة .

ثم بغداد الثانية أعنى (اصبهان) وما أعطى أهلها من طيب الهواء وعذوبة
الماء والحذق بأنواع الصناعات ، فلهم الثياب المروية والعتايسة والملاحم العجيبة
والحلل الابريسمية المنسوجة وغير المنسوجة والثياب السعيدية .

(ولفارس) فضل في اتخاذ الآلات الظريفة المحكمة من الحديد حتى لقد قال
بعض الحكماء لما وقف على أشياء ظريفة عند بعض الملوك من آلات فارس : لقد
ألان الله عز وجل لهؤلاء القوم الحديد وسخره لهم حتى عملوا منه ما أرادوا ، فهم
أحذق الأمة بالجوامع والأقفال والمرايا وتطبيع السيوف والدروع والجواشن ،
ولهم الثياب الجبائية والسينيزية ، ولهم الماورد الجورى والطين السيرافى والاكسية
الفسوية والأدهان السابورية والثياب الكازرونية .

ولأهل (سجستان) عمل المشارب السجزية والكيزان وآلات كثيرة من الشبه
والصغر .

ولأهل (طهرستان) و (الديلم) و (قزوین) حظ من عمل الأكسية الرويانية

والأملية واتخاذ الستانك والمناديل وأشياء كثيرة من أنواع ثياب القطن والصفوف
والابريسم والكتان .

ولاهل (جرجان) من الابريسم ما ليس عند غيرهم ومنها يحمل إلى جميع
البلدان ، ولهم حذق باتخاذ الديباج والمقانع والثياب والستور وغير ذلك .

ولاهل (نيسابور) الثياب الملحمة والظاهرية ، ولهم التاختج والراختج وليس
هذا إلا لهم .

ولاهل (مرو) الثياب المرزوية والملاحم الفائقة التي هي اعلى الملاحم .
(وبخراسان) فواكه كثيرة سرية وأعناب طيبة ، ولهم الزبيب الكشمهاني
والكشمش وبتنج يقدد ، وقد كان فيما مضى يحمل بطيخها الى الخلفاء في
قدور نحاس لشدة حلاوتها ولذتها وطيبها (كذا بالأصل) ، ولهم الاشتراغاز
والانجذان والغوشنة والسكيدكان والرخبين والملبن ، وبها معدن الفيروزج
واللازورد والرُّكْب المروية والثياب السمرقندية ، ولهم الاشكن والخلنج وبها
الختو .

(وبالترك) السمور والفنك .

(وبالْتبَّت) المسك التُّبَّتِي والدرق التبتية .

فسبحان من أعطي كلَّ بلد نوعا من الخيرات ، وجنسا من الصناعات ، وتبارك

الله أحسن الخالقين .

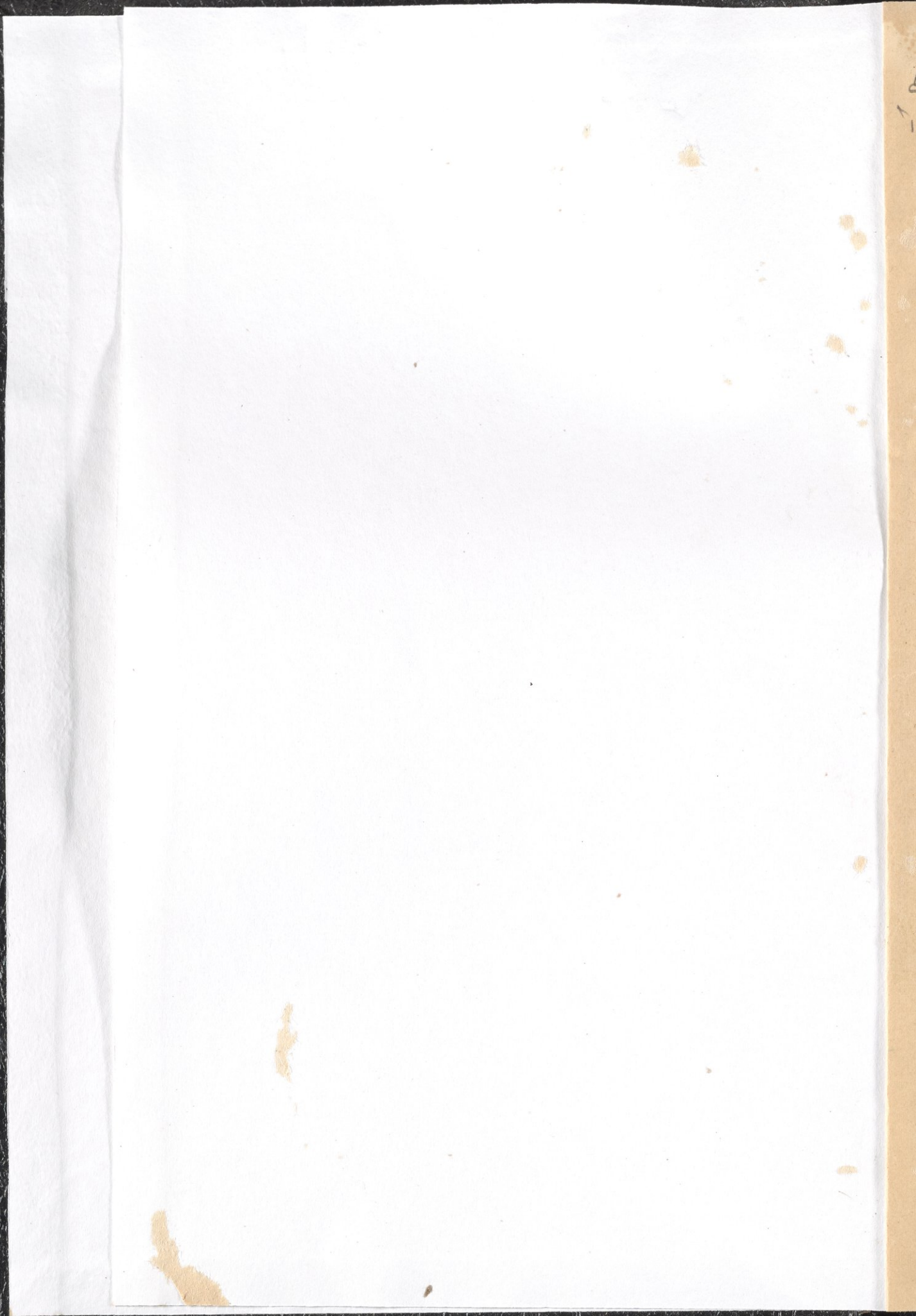
فهرس التبصر



| | صفحة |
|--|------|
| توطئة : بقلم الناشر | ٣ |
| متن التبصر | ٩ |
| آراء المتقدمين في الحث على التكسب بالتجارة | ٩ |
| باب معرفة الذهب والفضة وامتحانهما | ١٠ |
| باب ما يعتبر من الجواهر النفيسة ومعرفتها وقيمتها | ١١ |
| باب معرفة الطيب والعطر والروائح الطيبة | ١٦ |
| باب معرفة الثياب وما يستجد منها | ١٩ |
| باب ما يجلب من البلدان من طرائف السلع والأمتعة والجوارى والأحجار وغير ذلك | ٢٥ |
| باب ما يختار من البزاة والشواهين والبواشق والصقور وغير ذلك من الجوارح | ٣٤ |
| باب آخر | ٣٦ |
| ملحق : (فيه تمة للناشر) في ذكر ما خص الله تعالى كل بلدة بشيء من الأمتعة دون غيرها - منقول عن ابن الفقيه الهمداني | ٣٨ |

6. 12612403
1. 13317246

JAN 21 1987



22 MAY 2008



HF
351
J3
1935